# الآلهة الكونية وفكرة الخلق في الأساطير المصرية القديمة

د./ مسعود حناشي*

يتناول هذا الموضوع أحد الجوانب الهامة في الديانة المصرية القديمة،والمتمثل في دور الآلهة الكونية في الفكر الديني المصري القديم ، وذلك من خلال الأساطير التي تتحدث عن خلق الكون، وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة ابراز أهم هذه الأساطير ودور الآلهة الكونية في ذلك.

كانت الآلهة الكونية هي أبرز المعتقدات الإلهية عند المصرين، حيث للعناصر الكونية في أرضهم قوة ووضوح، فهي تؤثر تأثيرا مباشرا على كل شيء فينظر المصري فيرى حوله سماء صافية لا تكاد تغيم وشمس ساطعة تشرق مرسلة شعاعها ونجوم زاهية تضيء الليل، ونيل يفيض في موعد ثابت كل عام يروي الأرض فينمو النبت ويأكل السكان ويكتسبون، كل ذلك إلى جوار صحاري قاحلة تحيط بالوادي ممتدة إلى مالا يحده البصر باعثة الرهبة في قلوب من يجوبها ، ومن هنا لم يكن عجبا أن تعلق قلوب المصريين بمظاهر الطبيعة وتتوه فيها خيالاتهم [1].

وقد أيقظت فيه الحس التأملي فراح يتابعها ويتمعن فيها وهو بذلك يحاول التمييز بين النافع منها والضار، فقد قدس النوع الأول أملا فيه. وقدس النوع الثاني بغية إخضاعه والتحكم فيه مستغلا في ذلك الوسائل والإمكانيات التي أتيحت له والتي تتماشى ونموه الفكري مثل القرابين والصلوات والهدايا، وهذا السلوك المتبع من قبله يمثل استجابة لإثارة طبيعة قائمة على قاعدة نفعية تحدد تدينه وتقوى فكرة العقيدة لديه والتي لم يتأخر في ربطها بقوة خفية تتجاوز محسوسه الطبيعي تنشط خيالاتها عقليته بغية وضع قائمة إلهية تخيلية يفوض لها مصدر الظواهر الطبيعية المحيطة به، وتكون بذلك طبيعته قد وفرت له معبوده [2].

ويرجح الباحثون أن عبادة الآلهة الكونية ظهرت في مصر في وقت مبكر ولكنها كانت في شكل ساذج دفعت إليه عاطفتا الخوف والحب التي كانت منشأ الديانات والعقائد. فكان تردد

* استاذ محاضر بجامعة الحاج لخضر ، باتنة





المصري بين الخوف من المطر والرغبة فيه دافعا لتقديس السماء وكان الخوف من الفيضان والرغبة في استجلاب نفعه دافعا لتقديس النيل وهكذا كان الشأن مع الشمس والقمر وغيرهما وبذلك نشأت العقائد الكونية في مصر بنفس طريقة نشأة العبادات الحيوانية، غير أن العقائد الكونية سارت بالفكر الديني المصري في طريق التطور والارتقاء بحكم هيمنتها على مناطق شاسعة من البلاد وشعور المصري بأثرها في كافة أرجاء الوادي ولأن فهمها وإدراك كنهها يحتاج إلى التأمل والتفكير، ولهذا يرجح الباحثون أن الرقي الفكري الذي صاحب العبادات الكونية في مصر لم يبدأ إلا بعد توحيد القطرين على يد مينا [3] ويشير أدولف أرمان إلى ذلك بقوله: " في طليعة ما توفر لدينا من روايات نجد حدثا كان له أكبر الأثر على الديانة المصرية، إذ اتحدت مملكتا مصر العليا ومصر السفلى لتكونا دولة واحدة مقر حكمها ( منف)، وقد غدت الديانة بعدئذ بالحكومة إذ أصبحت ذات صبغة موحدة، تؤلف عقيدتا هليوبوليس ومنف قوامها [4].

وقد لعبت الظواهر الكونية الثلاث البارزة في مصر، وهي الشمس والسماء والنيل دورا رئيسيا في العبادات الكونية المصرية فكان لها فضل كبير في احتواء الآلهة الحيوانية وإدماجها في كياناتها فمثلا أدمجت البقرة في عبادة السماء على أساس ما لاحظه المصريون من تشابه بين الاثنين فالسماء تسقط مطرا هو كالغيث للأرض والبقرة تدر لبنا هو كالغيث للبشر، والسماء تحيط بأركان العالم الأربعة فتبدو وكأن لها قوائم أربعة ترتكز عليها كقوائم البقرة الأربعة، (أرجلها) وهكذا [5].

لقد نشأت عبادة الشمس( LA CULTE DU SOLEIL ) مع الحضارة المصرية وسادت في ركبها طوال العصور السابقة [6] وإن تغير مظهرها وإن تحولت أحيانا إلى صور أخرى بسبب قيام آلهة محلية استطاعت أن تأخذ مقام الصدارة، ولقد حدث أن كان (بتاح) منف و (آمون) طيبه يتصدران الواحد منهما الآلهة جميعا لأن منف صارت العاصمة أو لأن طيبة اتخذت قاعدة للحكم، ولكن فكرة ألوهية الشمس لم تغب عن الأنظار على أية حال حتى أننا نرى أن آمون حين يصل إلى قمة مجده كان يقترن في صوره بالمعتقد القديم الراسخ في الأذهان فكان يسمى( أمون–رع) (AMON-RE)، وهو مظهر آخر للشمس وهكذا كانت العقيدة في الشمس مطلقة

تستوى في هذا الأمر مع العقيدة الأوزيرية (DOCTRINE OSIRIENE)[7]، وكلتا العقيدتين رسختا في قرارة نفوس الشعب ولم يستطع اله ما أن ينتزعها منها[8].

وفي هذا الشأن يقول جيمس هنري برستيد" عندما نتفحص الدين المصري في أقدم وثائقنا التي وصلت إلينا يتضح أن ظاهرتين طبيعيتين عظيمتين أثرتا أعمق الأثر في سكان وادي النيل. وإن الإلهين اللذين يمكن تبينها في هاتين الظاهرتين سيطرتا على التطور الديني والعقلي منذ أقدم العصور، إنما الشمس والنيل، في اله الشمس (رع) و(أتــوم)(ATOUM)[9]. و(حــورس وخيري)،وفي النيل (أوزيريس)، نجد الآلهة العظام في الحياة والفكر المصري الذين منذ البداية على التقريب ولجوا في منافسة للوصول إلى أعلى مكانة في دين مصر وهي منافسة انقطعت فقط بتبدد الدين المصري في ختام القرن الخامس الملادي[10].

كانت الشمس بالنسبة لبعض الأقاليم هي الظاهرة الطبيعية التي تسيطر على كل شـيء، ولم يكن الضوء والحرارة فحسب مما بعث تقديسها بل هي كذلك تعطي الحياة وتنضج الحبوب. فليس غريبا أن نجد المصريون كغيرهم من الأمم البدائية قد اتخذوا من الشمس إلها بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك إذ اعتبروها الاله الأكبر خالق الكون منبع الحياة كلها وقد انتشر نفوذ هذا الإله في عصر مبكر من التاريخ المصري[11] في أنحاء القطر حتى أن الآلهة المحلية وحدت معـه كما وضعت الطقوس في معظم المعابد المصرية على نمط الطقوس المتبعة في معبد الشـمس في هليوبوليس[12] ولم تخلو الديانة المصرية في عهودها المختلفة بين العقيدة الشمسية التي أخذت تتنقل على تعاقب العصور في صور مختلفة تنتهي كلها إلى الشمس، فالإله رع إله الشمس منذ الأزمنة القديمة في مصر بقي في مكانه مع تعدد الأسماء والصفات حتى جمعت بينها كلها عبادة (آمون) ثم عبادة(آتون)(Aton) ودارس الديانة المصرية حتى عهد (أخنـــاتون)(Akhenaton) يجد عددا هائلا بين العقائد والعبادات والشعائر لا تخلو من تناقض فيما بينها، ولكــن عـــبادة (رع) توحدها، حيث تتحد به الآلهة الكبيرة المعبودة في أقاليم مصر[13].

فكانت في أقاليم القطر المصري قبل ظهور عبادة (آتون) ثلاث عبادات شمسية تتنافس في المبادئ الروحية ووسائل النفوذ، فكانت منف تدين له باسم (بتاح) وكانت عين شمس أو (هليوبوليس) تدين له باسم (رع) وأحيانا باسم (آتوم)، وكانت طيبه تدين له باسم (آمـــون)[14]. ولكن هذه الآلهة لم تنفصل عن الشمس ولم يكن في مقدورها إهمال اسم (رع) فـاقترن





اسمه (بآمون) وصار( آمون رع). و(أخناتون) عندما قضى على الآلهة جميعا والتي كان المصريون يعبدونها زعم أن الهه (أتون) هو (رع) وكل الآلهة صادرة عن إلــه الشـمس[15]. وارتـأى المصريون في كوكب الشمس كيانا قدسيا شأنهم في ذلك شأن غيرهم من أصحاب الـديانات القديمة في الشرق والغرب معا وتعددت آرائهم مثلهم في تحديد أصله وسر ظهـوره فـاكتفى بعضهم بتقرير رابطته الظاهرة بالسماء واعتبروه ولدا لربتها حين كانت متصـلة بـه، ولمـا انفصلت عنه وضعت حملها فملأ ما بين السماء والأرض بنوره[16].

في العهود القديمة كان مركز عبادة الشمس في مدينة (عيوتو)[17]. الـتي أطلـق عليهـا اليونانيون اسم (هيليوبوليس) أي (مدينة الشمس) وعندما اتحدت مصر في دولـة مركزيـة أصبح الدين الرسمي للدولة هو عبادة الشمس وأصبح اسم آله الشمس (رع) يدخل في تركيب أسمـاء فراعنـة الدولـة القديمـة(ANCIENE EMPIRE) مثـل (خفـرع)(KAFRA) و(منكاورع)(MENKAOURA)[18].

بيد انه من عهد الأسرة الخامسة أصبح الدين الرسمي للدولة هو ديانة الشمس، وقد شيدت المعابد في أنحاء مصر و صار لها أوقاف ولم يقتصر سيادة رع عند هـذه الحـدود بـل تجاوزها إلى أبعد من ذلك بكثير فصارت المعبودات المحلية الأخرى وكأنها صـورة مـن الـه الشمس لأن كهنة تلك الآلهة لم يحبوا الشذوذ أو التفرد والبعد عن ديانة الشمس فزعموا أن آلهتهم إن هي إلا صورة من (رع) ومستمدة منه وقداستها من قداسته فصارت مراسيم العبادة وطقوس الدين هي مراسيم (رع) وطقوسه[19].

وتعد عبادة الآلهة الكونية مثل آلهة السماء والشمس والنيل والأرض مرحلة تطـور هائلة في الفكر الديني المصري، فقد تنقلت العبادات المصرية من مرحلة التعدد وهي المرحلـة البدائية التي سادت فيها عبادة الآلهة الحيوانية المتعددة كآلهة رئيسية في مختلف المناطق وسارت بها نحو التمهيد لمرحلة الترجيح ومعناها ترجيح أو سيادة عبادة عدد قليل من الآلهة العظمـى واعتبارها أعظم الآلهة، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى إلغاء الآلهة الأخرى التي تأخذ في الإتحاد مع هذه الآلهة في أول الأمر ثم الاندماج فيها وإذ سار هذا التطور نحو الارتقاء فانه يـؤدي إلى ثالث مراحل التطور في الفكر الديني وأرقاها هي مرحلة التوحيد أو الوحدانية فتسود عبادة إله واحد وتلغى جميع الأرباب الأخرى التي تعبد من دونه[20]. وقد اتجهت بعض تلك الآلهـة إلى

تعزيز مكانتها وألوهيتها بين الآلهة الأخرى، وكان دور الأساطير [21] فعالا في ذلك ومثمرا لدرجة كبيرة لأن جموع الناس كانت تتبع القصص والملاحم الأسطورية بشغف كبير رغم مزجها بين الحقيقة والخيال، ويستطيع الكهنة بواسطتها التحكم في مشاعر الجماهير واجتذاب انتباههم مما يكون عاملا مساعدا في أسبقية الآلهة الرئيسية في تلك الأساطير أو بالأحرى، النظريات الدينية الخاصة ببعض الآلهة [22].

يرجع الفضل إلى كهنة هليوبوليس في الارتقاء بالفكر الديني المصري والتطور به نحو الترجيح ثم نحو التوحيد. وقد بدأوا يفلسفون الدين فوضعوا أو نظرية في تفسير خلق الكون. وسار على منوالهم كهنة الآلهة الرئيسية الأخرى في البلاد، وهم كهنة الإله (بتاح) وكهنة الإله (تحوت) (THOT) [23]، ولهذا نجد ثلاث مذاهب أو نظريات رئيسية في مصر عن خلق الكون هي :

-نظرية عين شمس (هيليوبوليس).

تقول هذه النظرية أنه في بدء الزمان قبل خلق الأرض والسماء والآلهة والناس عاش اله الشمس وحيدا في عالمه الأزلي (نون) الذي كان الكون، وكان ساكنا مظلما وباردا " أنا (آتوم) عندما كان وحيد في نون، أنا (رع) عندما يشرق" ، وعندما بدأ يحكم ذلك العالم الذي خلقه ثم خلق إله الشمس نفسه في هذا الأزل [24]. وتستمر الأسطورة في سرد عملية الخلق فتقول أن اله الشمس عندما خرج من المياه الأزلية لم يجد مكانا يقف فيه فوقف فوق تل ثم صعد فوق حجر (بن بن)(BENBEN ) [25] في (هيليوبوليس)، ولكنه وجد نفسه وحيدا ففكر في أن يخلق لنفسه زملاء أو رفقاء فحمل من نفسه ثم تفل (أمنى) فأنجب (شو) ويمثل الهواء والإله (تفنوت) (TEFNET ) وتمثل الرطوبة، وأنجب هذان الاثنان (جب) (GEb ) إله الأرض و(نوت) إلهة السماء وأنجب هذان الأخيران بدورهما (أوزيريس وزوجته إزيس(ISIS ) وست وزوجته نفتيس) ( NEPHTYS) وقد أطلق على هؤلاء اسم التاسوع الكبير [26].

وبجانب هؤلاء الأبناء- أبناء إله الشمس- كان هناك أحفاد وأحفاد الأحفاد للإله آتون والذين حظوا بتقديس الناس لهم واعتبروا آلهة فاضطر الكهنة أن يؤلفوا بينهم مجموعة منها: التاسوع الصغير الذي ضم على الخصوص (حوس وتحوت ومعات وأنوبيس)، وليكتمل العدد أضافوا اليهم بعضا من الآلهة الأخرى غير المشهورة [27].





وقد فسرت النظرية ظهور الأرض والسماء بان اله الهواء (شو) (SHOU ) فصل بينهما بعد أن تولد عن روحهما في فترة اتصالهما الأبناء الأربعة المذكورين، ويلاحظ أن المصريين سبقوا العالم بفكرة الفصل بين الأرض والسماء فقد رددها فيما بعد أساطير الخلق العراقية القديمة(28)، وقد ورد ما يشبه هذه الفكرة في الديانات السماوية فجاء في التوراة (فعمل الله الجلد وفصل به المياه التي تحت الجلد وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء) وفي القرآن الكريم، (أولم ير الذين كفروا أن السماء والأرض كانا رتقا ففتقناهما) [29].

النظرية الأشمونية.(هرموبوليس).

أخذت هذه النظرية اسمها من الثامون المقدس لأن مجموعة الآلهة فيها تتكون من ثمانية آلهة وليس تسعة كما هو الشأن بالنسبة للنظريتين الهيليوبوليتانية والمنفية، وتتعلق هذه النظرية بالإله (تحوت) خالق الثمانية وخالق البيضة التي خرج منها إله الشمس، فهو على حد قول كهنة هذه النظرية يمثل جد والد آباء الآلهة جميعا [30]. وحسب هذه الأسطورة فإن الشمس لم تخلق نفسها بنفسها ولكنها خرجت من رابطة تتكون من ثمانية آلهة هي التي حضرت لميلاد الشمس، وهذه الرابطة تضم أربعة أزواج [31] في شكل ضفادع وثعابين [32]. وكل زوج منها يمثل مظهرا من المظاهر التي كانت تسود العالم في بداية الأمر. فالزوج الأول (نون ونونيت) يمثل الفراغ اللانهائي، والزوج الثاني هو(حوح وحوحيت) ويمثل الماء الأزلي، والزوج الثالث (كوك وكوكيت)ويمثل الظلمة، والزوج الرابع (نيا وزوجته نيات)أو(آمون وآمونيت) ويمثل الخفاء [33].

وتواصل الأسطورة سرد عملية الخلق بالقول أنه بعد أن استقرت الأسر الإلهية فوق مرتفع صغير من الأرض خرج من العدم في(هرموبوليس) نفسها خرجت البيضة التي ولدت منها الشمس، وهذه الأخيرة بعد أن انتصرت على القوى المخاصمة لها قامت بخلق الكون وتنظيمه [34].

وحسب هذه الأسطورة دائما فإن ميلاد الشمس لم يكن بهليوبوليس وإنما في (هرموبوليس) [35]. ولقد ذهب لاهوتيو طيبة فيما بعد إلى القول بأن الثامون نشأ في طيبة وليس في هرموبوليس. ثم انتقلت الآلهة سباحة على الماء إلى (هرموبوليس) حيث خلقت الشمس وعادت بعد أن أكملت مهمتها لتموت بالقرب من مدينة (حابو)، حيث شيد لها معبد هناك، وكان

يزورها آمون الأقصر المسمى (إرتا) أي (خالق الأرض) كل عشرة أيام ليقدم إليهـا القربـان الجنائزي [36].

النظرية المنفية.

عندما اعتبرت هليوبوليس الإله (آتوم) إلها خالقا وجعلته على رأس الآلهة جميعا لم تستسغ جارتها مدينة منف ذلك. خاصـة وأن إلهها (بتاح) كان يتمتع بشهرة وتقديس كبيرين بين سكانها من جهة ولأنها كانت مقر الملوك في ذلك الوقـت. أي في أوائل عصور الدولة القديمة من جهة أخرى[37]. ولهذا عمد كهنتها إلى الأخذ بالأسلوب اللاهوتي للعبادة في (هليوبوليس)[38]، وتحت تأثير التعاليم الأوزيرية التي عدلوها حتى تتلاءم مع مكانـة إلههـم[39]

فاعطوا لبتاح اله (ممفيس)[40]المكانة الأولى التي كانت( لآتوم)، والذي كان يحتلها منـذ ازمنة بعيدة[41]واعلنو ا عن ميلاد لآمون مقدس يضم ثمانية آلهة بما فيها الإله (آتوم) نفسـه احتواها كلها الإله(بتاح) عن طريق تجسيد أشكالها فيه .ولم تكن بالتالي سوى( بتاح )نفسـه فآتوم كان بمثابة القلب[42]واللسان من( بتاح)، ومظهر هذا القلب هو الإله حورس ، بينما مظهر اللسان الإله (تحوت)[43]. وهذا يعني أن الإله (آتوم) وهو أعظم آلهة( هليوبوليس) قد أصبح أقل شأنا من الإله( بتاح) ، وقد ذهب كهنة (منف) إلى حد سلب (آتوم )القـدرة على الخلق والإبداع ، إذ ادعوا أن قلبه ولسانه ليسا إلا من( بتاح)[44].

ويلاحظ أن المفكر القديم يستعمل لفظ قلب على اعتباره الوسيلة الوحيدة للتعبير عـن فكرة (عقل)، كما كان يتصورها تصورا مبهما، وعليه فمن (بتاح) صدرت قوة العقل واللسان وهي القوة المتحكمة في كل الآلهة وكل البشر وكل العقول وكل الكائنات . وهو يفكر ويأمر بما يريد[45]. "إذا مارأت العين وسمعت الأذن ونشقت الأنف الهواء بعثت هذه مارأت وسمعت ونشقت إلى الفكر الذي يبدأ في اتخاذ قراراته، أما اللسان فنطق بها"[46].

وبهذا الأسلوب تم تشكيل جميع الآلهة .وظهر النظام الالهي عن طريق ما أمر به القلب وما أمر به اللسان ((وهكذا نال العدل كل من فعل الشيء المرغوب فيه . وعوقب الـذي يفعـل الأمر غير المرغوب فيه، وأعطيت الحياة لمن يؤمن بالسلم . وأعطي الموت للخاطئ، وهكـذا تم كل عمل وكل مهنة وعمل الأذرع وحركة الأرجل ونشاط كل عضو من الجسم حسب الأمر الذي فكر فيه القلب . والذي جاء عن طريق اللسان والذي يعطي قيمة لكل شيء))[47]





وتبدو هنا أسطورة خلق الكون الذي اشرف عليها الإله(بتاح) معروضة في أسـلوب فكري رفيع، إذ أن فكرة الخلق تبدأ في العقل أو القلب أولا ثم تتحقق من خلال الكلمة التي ينطق بها اللسان. وليست الآلهة الأخرى إلا اللسـان والقلب والأسنان والشفاه للإله (بتـاح)[48].ومن هنا يبدو أن كهنة منف قد اتجهوا بمفهوم الخلق والخالق في مذهبـهم إلى التجريـد والمعنوية[49] أكثر مما اتجهوا إلى التجسيد والمادية. وأوشكوا أن يصلوا إلى ما أكدت عليه بعض الكتب السماوية[50] عند نزولها . فردوا الخلق الأول إلى القلب واللسان أو الإرادة والكلام ، واقتربوا من قول التنزيل الحكيم ((الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمرا فا نما يقول لـه كـن فيكون))[51]. والحقيقة أن هذا التكوين اللاهوتي ليس له نظير في مثل هذه الفترة المبكرة مـن تاريخ البشرية[52]. وهو يختلف عن المذهبين السابقين بطابعه العقلي البحت ، أو هو يختلف عن مذهب (هرموبوليس )، مما حال دون شعبيته[53].

وهكذا اجتمع في عقيدة (بتاح) جانبان متناقضان جانب معنوي راقي، وجانب مادي بدائي، وهذه الظاهرة المزدوجة تؤكد وجود عقيدتين أو على الأقـل اتجاهين عقيـديين في مصـر الفرعونية. اتجاه راق يسير تدريجيا نحو المعنوية والتجريد، ويظهر أنه اتجاه أصـحاب الفكـر والمستنيرين وأفراد الطبقة المثقفة، واتجاه أدنى يتمسك بالتقاليد والمعبودات القديمة ويميـل إلى العقائد المادية الملموسة وما يتصل بها من رموز ومظاهر حيوانية وربما يمثله كهنـة المعبـودات الحيوانية القديمة وأفراد الطبقات الدنيا .

الهوامش :

1- سليمان مظهر ،قصة الديانات، دار الوطن العربي الطباعة والنشر ( ب ت)،ص 8

2- أحمد الخشاب ، الاصحاح الديني، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية،مكتبة القاهرة الحديثة،1970 ،ص- ص: 107-108

3- عبد المنعم عبد الحليم سيد، حضارة مصر الفرعونية،جـ 4،دار المعارف، القاهرة،1977،ص 173

4- ادولف أرمان، ديانة مصر القديمة،ترجمة عبد المنعم أبوبكر، محمد أنورشكري، شركة ومكتبةومطبعة البابي الحلبي وأولاده (ب ت)،ص 118

5- عبد المنعم عبد الحليم سـيد ،المرجـع السابق، ص-ص 173- 174 ؛ ول ديورنت، قصة الحضارة،جـ 2المجلد الأول ،ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطبع والنشـر والتوزيع،بيروت ،،1971ص 156 ؛ نجيب ميخائيل إبراهيم ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ 4، ط 2، دار المعارف،القـاهرة ،966 ص 59؛ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج 1،بغداد،1971، ص 108

6- كان اله الشمس يعد أعظم الآلهة المصرية، ولقد ظل كذلك طوال التاريخ المصري. ويحدث أحيانا أن تدفع التطورات السياسية بأحد الآلهة الى الأمام لفترة ما . ولكن ديانة الشمس ظلت تبذل جهدها من وراء الستار لتعديل كل المذاهب الأخرى . حتى تتفق معها .وحتى أزيريس أخطر منافس لإله الشمس قد تأثر بعبادة الشمس وعدل من مذهبه ليتفق مع مذهب الشمس .انظر: محمد عبد القادر محمد، الديانة في مصر القديمة،دار المعارف، القاهرة(ب.ت) ص.25.

7- نسبة إلى الإله( اوزيريس) .وربما كان هذا الإله من أكثر الآلهة المصرية شيوعا . ويدين بشهرته بعض الشيء إلى بقاء عبادته نحو ألفي سنة، وبناء على تلك الشهرة أقيمت معابده بطول شاطئ البحر واستمرت حتى ظهور المسيحية كما ترجع إلى الطابع الإنساني الذي اتسمت به أسطورته. ويختلف أوزيريس عن غيره من الأرباب المصريين الذين يجسدون قوى الطبيعة ويتمثلون في هيئات نصف آدمية ونصف حيوانية. وقد عانى الخيانة والموت على الأرض ، وعاد إلى الحياة بدفء زوجته أيزيس .وبهذا انتصر على الموت، وربح للبشرية كلها حياة أبدية أكيدة. لمزيد من المعلومات انظر: جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية ، ترجمة أمين سلامة،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،1996ص.72.

8- نجيب ميخائيل إبراهيم ، تاريخ الشرق الأدنى القديم،ج 2، ط 2،دار المعارف، 1965،ص- ص.199-200.

9- عبد المنعم عبد الحليم سيد ، المرجع السابق،ص. 165

10- جيمس هنري برستد ، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ترجمة زكي سوس، الكرنك للنشر والطبع والتوزيع،1961، ص35.

11- لقد ذاعت عقيدة الشمس أثناء العصر النيوليتي .عن طريق المهاجرين الآسيويين من مركزهم -يونو- التي أصبحت تعرف بـ(هليوبوليس): وأن الشمس بدأت تمد سلطانها شيئا فشيئا .لتصبح آلهة كونية،وخلال الألف الثالثة أصبح أتباع رع قادة البلاد. انظر: JAWADBOULOS., *Les peuples et les civilisations du proche orient, t.1,Maulon.1961.P.187*

12- محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق، .ص.15.

13- أحمد عبد الغفور عطار،الديانات والعقائد في مختلف العصور،جـ1 مكة المكرمة،1981،ص-ص. 38-37.

14- نفس المرجع، 338 - 339.

15- عبد العزيز صالح ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، (العراق ومصر)،جـ1،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة،1974،ص. 323.

16- عبد العزيز صالح المرجع السابق،ص. 323.

17- تعني في لغة المصريين القدماء: (البرج) وهو بناء شيده القوم -أكبر الظن- في ذلك المكان من قلب الوادي.ليرصد منه كهان الشمس ذلك الكوكب. وليرصدوا من حوله كواكب السماء الأخرى .ثم جعلوا





عند دار العبادة ، ومن حولها منازل الكهان والمريدين من ( عباد الشمس)وظلت المنازل تزداد وتنتشر، حتى أضحى المكان على مر الأيام مدينة عظيمة، وحتى غدت تلك المدينة عاصمة الملك والسياسة، وكعبة الدين ، يحج إليها الناس كافة ، ويلقون فيها رجالات الدولة من كهان الشمس وأنصارهم الذين ملكوا زمام الدنيا على شواطئ النيل، ولما جاء الإغريق إلى مصر وعرفوا من تاريخ أهلها أشياء أرادوا أن يلائموا بين ما عرفوا عن حياة القوم وبين سياستهم الدينية والمدنية في هذه البلاد، فخلعوا على على معبوداتها وعواصمها المختلفة ما يلائمها من أسماء معبود الهم وعواصمهم الإغريقية، فأسموا تلك العاصمة المصرية القديمة (هيليوبوليس)( مدينة الشمس) ومن قبل عرفت شعوب آسيا تلك المدينة ورددوا ذكرها في أخبارهم ، فاسمها عند العبرانيين (أون) وعند الآشوريين(أونو)،وعند البابليين(آنا) اسمها الحالي(عين شمس)، انظر: احمد بدوي، في موكب الشمس،ج.1،ط.2، مطبعة لجنة التأليف،القاهرة،1955،ص.581،حاشية 1.

18- نعيم فرح،تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والحضاري، ( بدون تاريخ) ص-ص. 112-113.

19- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص. 323.

20- عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص 173

21- يرى (الكسندر كراب)أن مصطلح أسطورة يعني ((حكاية تلعب فيها الآلهة بالمعنى الواسع للكلمة دورا أو أدوارا)). ويقول ( بول ريكور) ان الأسطورة حكاية تقليدية تتعلق بأحداث وقعت في الزمن الأول ومخصصة لتأسيس الفعل الشعائري. .وبشكل عام .تأسيس كل أشكال الفعل والفكر اللذين من خلالهما يفهم الإنسان داخل عالمه. أنظر :لوليدي يونس، الأسطورة،إشكالية المصطلح ومقاربة تعريف،مجلة الفيصل،العدد،284. (ب.ت)،ص.49.

22-الناظوري رشيد ،المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1968،ص74.

23-اله الكتابة عند المصريين.

24- محمد عبد القادر محمد، المرجع السابق،ص 16.

25- هو الحجر المشهور فيليو بوليس ،والذي صعد فوقه اله الشمس بعد خروجه من المياه الأزلية

26- أبو المحاسن عصفور، معالم حضارة الشرق الأدنى القديم،ط. 2،دار النهضة العربية،1981، ص. 71؛ تقي الدباغ، آلهة فوق الأرض "دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الأدنى القديم واليونان"،مجلة سومر،جـ 1،2،مديرية الآثار العراقية، بغداد،1967، ص-ص. 119- 120

27- أدولف أرمان، المرجع السابق،ص-- ص.104-105.

28- جاء في أسطورة الخلق العراقية أن خلق الكون نتج عن زواج ابسو رب الماء من تيامات ربة الماء المالح ، وأن هذا الزواج أثمر عددا من الأبناء بينهم الإله انكي رب الحكمة ، وأن ابسو غضب من أبنائه فدبر قتلهم ولكن انكي قتل أباه ابسو فغضبت الأم لقتل زوجها وتآمرت مع اله شرير يدعى كنجو ودبرت معه قتل أبنائها وأحفادها ولكن زعيمهم مردوك رب العاصفة أسرع بقتل تيامات جدته وشطرها شطرين جعل الشطر

العلوي السماء والشطر السفلي الأرض ، ثم خلق بقية الظواهر الطبيعية .أما الإنسان فقد خلقه من دماء كنجو الشرير بعد قتله .انظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص.177،حاشية 1.

29- نفس المرجع ،ص- ص. 176-177: سليمان مظهر، المرجع السابق، ص-ص. 3-4.

30- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق،ص73.

31- الذكور في هيئة ضفادع والإناث في هيئة ثعابين

-32JACQUES VANDIER *La Religion Egyptienne, presse universitaire de France, Paris .1944p.33.*

33- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق،ص73.

34- محمد حرب فرزات، المرجع السابق،ص.194؛أدولف أرمان ،المرجع السابق،ص.73؛ جيمس هنري برستد، فجر الضمير،ترجمة سليم حسن،القاهرة ،1956،ص 51 ؛

-WOL DRING,L., *L'Egypte , l'art pharaons ed, Aldin michel, Paris* 1963.p340.

-JACQUES 35

-36 VANDIER,OP-CIT,P

37-نجيب ميخائيل إبراهيم ،مصر والشرق الأدنى القديم،جـ 4،ص 172.

38- أدولف أرمان ، المرجع السابق،ص 105؛ طه باقر ، المرجع السابق،ص. 111.

39-إذا كان لاهوتيو هيليوبوليس قد وضعوا نظريتهم المعروفة حوالي القرن التاسع والعشرون ق م.على الأرجح،فإن لاهوتيو منف لابد أنهم لاحقون لهذا التاريخ ، لأن نظريتهم تعترف بالنظرية الهيليوبوليتانية .انظر.نجيب ميخائيل إبراهيم مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ 4،ص 214.

40- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم ،جـ 4، المرجع السابق،ص 213.

41- اعتبرت تعاليم منف الكهنوتية من أهم الوثائق التي حفظت بين كنوز مدينة منف ،وعند حكم الملك النوبي (شباكا)حوالي 710ق.م أمر بنسخها وذلك بحفر ما تبقى منها على لوح من الحجر الجرانيتي الأسود.انظر : ادولف ارمان، المرجع السابق،ص 105؛ طه باقر ، المرجع السابق، ص ص.110.

- 42 JACQUES VANDIER,OP-CIT,P - P.35-34

43 - استعمل المصريون كلمة ( قلب)بمعنى ( الفؤاد)، كما استعمل ذلك العرب والعبرانيون وبعض الأوربيين، لكن هناك وجها للخلاف بسيط في أن المصريين اعتبروا القلب والأمعاء مركز الفؤاد خلافا لسواهم من الأمم . وبديهي أن هذه الأفكار الدينية والفلسفية العقلية لم تنحصر في أفراد الكهنة بل ظهرت أيضا بين كبار القوم. خذ مثلا ما أورده (أنتف)أمين قصر (تحتمس الثالث) على شاهد قبره الحجري من أن رقية وعلو مترلته كان نتيجة إطاعته العمياء لما يوحيه إليه ضميره .قال (أنتف):(إن الناس تحدثوا بأن ما يجول بالصدر وحي من الإله) وقد استعمل في هذا التعبير كلمة (صدر)بمعنى القلب . وقد يستعمل بدل صدر (البطن)أو (المعى)في هذا المقام باعتبار هذه الأعضاء مركزا للفؤاد. وعليه فقد اعتقد المصري بوجود قوة مدبرة مهيمنة على المخلوقات والمعبودات جميعا ، وأن هذه القوة إذا أرادت تغيير الكون تقول له كن فيكون وبديهي أن هذه الآراء نواة الإيمان المعروف عند الغربيين بعقيدة (لوجس)( **Logos** ). ويرجح جدا أن فلاسفة اليونان استمدوا كثيرا من آرائهم الدينية من المصريين.أنظر: جيمس هنري بريستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي،ط.2،ترجمة حسن كمال،مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1966،ص 236 .

44- جيمس هنري برستد تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية ، ص.56.

45- أدولف أرمان ، المرجع السابق،ص.106؛

-WOLF WALTHER; *Le monde d'égyptienne, ed, Corra, buchet Chastel, Pari.1955p.36.*

46- جيمس هنري برستد ،تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية،ص.80.

47- أدولف أرمان ، المرجع السابق،ص.106.

48- جون ولسن ، المرجع السابق، 118.

49 - جيمس هنري برستد، فجر الضمير،ص57 ،
Wolf Walther, op-cit., p.37

50 -تحمل هذه الظاهرة في طياتها مظهرا من مظاهر الوحدانية لحد ما ، وذلك من حيث كون الإله بتاح يكون وحده عناصرها من الآلهة الأخرى .انظر: رشيد الناضوري ،المرجع السابق،ص 76.

51- لعل المقارنة مع ما ظهر لدى الشعوب الأخرى من أفكار شبيهة بأفكار منف ، وهي الخلق بالكلمة ، لعل هذه المقارنة تؤكد ذلك السبق الفكري العجيب الذي بلغه المفكرون المصريون في عصر مبكر من تاريخهم ، بل تاريخ العالم كله. إذ لم تتردد هذه الفكرة عند فلاسفة اليونان إلا بعد ذلك بما لايقل عن ألفي عام، في التعبير(لوجوس )، وقد ظهر مايشبهها في الكتب المقدسة ، ففي العهد الجديد نقرأ (في البدء كانت الكلمة ، وكانت الكلمة ، وكانت الكلمة مع الله، والكلمة هي الله) ( إنجيل يوحنا) وفي القرآن الكريم ( الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)(سورة آل عمران ،الآية47)، وترددت في التوراة أيضا وفي الإصحاح الأول من سفر التكوين إذ تطالعنا عبارة الخلق بالكلمة ( القول)في أول مقطع من مقاطع العبارات (( ما قال الله ليكن نور فكان نور))وقال الله ليكن جلد . وقال الله لتجتمع المياه) انظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد، المرجع السابق، ص 184

52- سورة آل عمران ،الآية .47

53- جيمس هنري بريستد،فجر الضمير،ص 57.